﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ١٣٤﴾ [النساء: 134]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

بيان كمال مُلك والثواب في الدَّارين بعد بيان سعة الملك وكمال التَّصرف

لَمَّا كان في سياق الكلام السَّابق تهديدٌ بليغٌ وتعريفٌ بِسعة المُلك وكمال التَّصرف، وكان مدار أحوال المُتشاحِّين في الإرث وحقوق الأزواج وغيرِها الأمرَ الدُّنيويَّ[1]؛ استعجالًا لمنافعِ الدُّنيا على خيراتِ الآخرة، نبَّهَهم الله تعالى إلى أنَّ خيرَ الدُّنيا بيده، وخير الآخرة أيضًا، فإنِ اتَّقَوه نالُوا الخَيْرَيْنِ، فقال: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ثَوَابَ﴾: جزاء، يُقَالُ: أَثابَه يُثيبه إثابةً، وثوابا: جازاه، فالثَّواب هو الجزاء على العمل، ويكون في الخير والشَّرِّ، وأصل (ثوب) يدلُّ على العَوْدِ وَالرُّجوع، فسمي ما يرجع من الجزاء إلى العامل من خير وشر ثوابا[3].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

ثواب الدَّارين بيد الله فليُطلبْ منه وحده

من كان منكم - أيُّها النَّاس - يُريد بعمله ثواب الدُّنيا فقط، فَلْيَعْلَمْ أنَّ الله عنده ثواب الدُّنيا والآخرة، فليَطلب ثوابَهما من الله وحدَه، وهو وحده الذي يملك النَّعيمَين، وكان الله سميعًا لأقوالكم، بصيرًا بأفعالكم، وسيجازيكم عليها[4].

---

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 5/430.

(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 5/223.

(3) ابن دريد، جمهرة اللُّغة، والجوهري، الصِّحاح، وابن منظور، لسان العرب، وابن فارس، مقاييس اللُّغة، والسَّمين، عمدة الحفَّاظ، والزَّبيديّ، تاج العروس: (ثوب)، وابن قُتيبة، غريب القرآن، ص: 60.

(4) لجنة من عُلماءِ الأزهر، المنتخَبُ في تفسير القرآنِ الكريم، ص: 134، ونُخْبة من أساتذة التَّفسير، التَّفسير المُيَسَّر، ص: 99، وجماعَةٌ من علماء التَّفسير، المُخْتَصَر في تفسير القرآن الكريم، ص: 99.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

أسرار إيجاز الحذف في جواب الشَّرط عند قوله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا﴾:

جواب الشَّرط في قوله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا﴾ محذوف تدلُّ عليه علَّته؛ وحُذِفَ لقصد أن يذهب السَّامع كل مذهب ممكن، فلا يتصور مطلوبا ولا مكروها، يكون عليه من يريد الحياة الدنيا إلا ويجوز أن يكون الأمر أعظم منه، بخلاف ما لو اقتصر على ذكر شيءٍ من الجزاء، فربما خف أمره عنده، فأفاد الحذف مع التّخويف والتّعظيم والتّفخيم عمومَ التّقدير[1].

تعليم للمؤمنين ألّا يصُدَّهم الإيمان عن طلب ثواب الدُّنيا فالكلُّ من فضل الله

بلاغة قوله تعالى: ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۗ﴾:

إنّما عُبِّر بهذا الجواب الذي هو على خلاف مقتضى الظّاهر ليكونَ تَبْكِيتًا لِلْإِنْسَانِ وتوبيخًا له؛ حَيْثُ اقْتَصَرَ عَلَى أَحَدِ السُّؤَالَيْنِ مَعَ كَوْنِ الْمَسْئُولِ وهو الله تعالى مَالِكًا لِلثَّوَابَيْنِ، وَحَثَّ عَلَى أَنْ يَطْلُبَ مِنْهُ تَعَالَى مَا هُوَ أَكْمَلُ وَأَفْضَلُ مِنْ مَطْلُوبِهِ، فَمَنْ طَلَبَ خَسِيسًا مَعَ أَنَّهُ يُمْكِنُهُ أَنْ يَطْلُبَ نَفِيسًا فَهُوَ دَنِيءُ الْهِمَّةِ، فجاء الجواب تعريضًا بمن يريدُ الأخسَّ ومدحًا لمن يريد الآخرة، والمعنى: مادام عند الله ثواب الدنيا والآخرة فما له يطلب أحدهما دون الآخر والذي يطلبه أخسُّهما، وأيضًا وَمَنْ أَرَادَ بِعَمَلِهِ ثَوَابَ الْآخِرَةِ آتَاهُ اللهُ مِنَ الدُّنْيَا مَا أَحَبَّ وَجَزَاهُ الْجَنَّةَ فِي الْآخِرَةِ[2]، وفي الآية تذكيرٌ للمؤمنين بألّا يلهيهم طلب خير الدنيا الخسّيسة الفانية عن طلب الآخرة النفيسة الباقية، إذ الجمع بينهما أفضل، وكلاهما من عند الله، وأيضا تعليمٌ للمؤمنين ألّا يطلبوا خير الدنيا من طرق الحرام، فإن في الحلال سعة لهم ومندوحة، إذ الخير كلُّه بيد الله[3].

تذكير المؤمنين بألّا يُلهيهم طلب خير الدُّنيا الفانية عن طلب الآخرة الباقية

(1) السبكي، عروس الأفراح: 1/593.
(2) البَغَويّ، معالم التنزيل: 1/712، والزمخشري، الكشاف: 1/574، وأبو حيان، البحر المحيط: 4/93.
(3) ابن عاشور: التَّحرير والتَّنوير: 5/223، وأبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 4/1893.

دلالة فاء الجواب في قوله تعالى: ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۗ﴾:

قد يقال: عنده تعالى ثوابُ الدنيا والآخرة، سواء حصلت هذه الإرادة أو لم تحصل، فلِمَ وقعت الفاء جوابًا للشّرط؟ والجواب أنّه جاء للتّذكير بما عنده تعالى لتعظيمه وتفخيمه، والتقدير، فعند الله ثواب الدنيا والآخرة له إن أراده[1].

بلاغة التَّذييل بذكر السَّمع والبصر على سبيل المبالغة:

استحضار مراقبة الله في سائر الأقوال والأفعال

وردت جملة التّذييل لإفادة ثبات الوصفين الجليلين لله تعالى وظهور آثارهما في النّاس، ولمناسَبتهما لسياق الآية، فيجب على النّاس أن يعلموا أن الله سميعٌ بالغ السَّمع لكلِّ قولٍ وإنْ خفي، نَفْسيًّا كان أو لسانيًّا لأقوال العباد في مخاطباتهم ومناجاتهم، ﴿بَصِيرَۢا﴾ أي بالغ البصر بجميع أمورهم في جميع حالاتهم، فيجب عليهم أن يراقبوه في أقوالهم وأفعالهم، فذلك الذي يعينهم على تزكية نفوسهم، والوقوف عند حدود العدل والفضيلة التي يستقيم بها أمر دنياهم، ويستعدون به للحياة الأبدية في آخرتهم[2].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الأجر والثواب:

الأجر ثواب وزيادة عوض

الأجر هو جزاء العمل الذي يكون فيه عقد أو ما يجري مجراه، والشَّاهد أنَّك تقول: ما أَعْمَلُ حتَّى آخذ أجري ولا يصحُّ أن تقول حتى آخذ ثوابي، أمَّا الثَّواب فقد اشتهر في الجزاء على الحسنات، والأجرُ يُقال في هذا المعنى، ويُقال فيما معناه المعاوضة بالانتفاع[3].

(1) الزمخشري، الكشاف: 1/574، والرازي، مفاتيح الغيب: 11/240.
(2) رضا، تفسير المنار: 5/370، والبقاعي، نظم الدُّرر: 5/431.
(3) الزَّبيديّ، تاج العروس: 10/25.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن، سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 8 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-60-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 8 : سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-60-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8115353 بتاريخ 2023/03/22م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»